# الثقافة الدينية والشخصية العراقية – دراسة انثروبولوجية

أ.م.د. سلوان فوزي العبيدي م.د. أحمد جاسم مطرود الباحث: سيف كريم تركي
جامعة بابل/ كلية الآداب

# Religious culture and Iraqi personality - Anthropological study

**Ass. Prof. Dr. Silwan Fawzi Al-Obaidi**
**Lec. Dr. Ahmed Jassim Matroud**
**Researcher. Saif Karim Turki**
**College of Arts / Babylon University**
Saif2020art@gmail.com

**Abstract**

Religious culture is a collective cultural phenomenon in which a large number of individuals participate. They have many causes and factors, including political, economic and social. The researcher has introduced the natural factor as one of the factors influencing the religious culture because of its obvious impact on the Iraqi personality.

It is therefore possible to say that the religious culture is the result of cultural and natural factors rooted and rooted in the city of Hilla since its establishment until the present, it clearly affects the population by reflecting on their personalities and behavior daily has tried to employ the direction of the school culture and personality in the subject of the study through the opinions and theories and pioneers This trend also employed the researcher interactive symbolic theory in the subject of the study to show the impact of symbols and religious activities and their spread among them because of the symbolic interaction between them.

The anthropological study in the city of Hilla found that there are images and patterns of the most popular religious culture, namely the Husseini rituals, the commemoration of the martyrdom of Imam Hussein, and the extensive participation of the people and the continuation of the holy shrines, the holy places and the religious shrines in the city.

Thus, the religious culture exists in the city of Hilla and in Iraqi society as a historical pattern prevalent and molded in the foundations of society and printed in the personalities of its members so we can say that the culture of the city of Hilla is a religious culture.

**Keywords**: culture, religion, personality, religious culture.

**الخلاصة**

تعد الثقافة الدينية ظاهرة جماعية ثقافية يشترك فيها عدد كبير من الافراد ولها أسباب وعوامل عديدة منها سياسي ومنها اقتصادي ومنها بسبب التنشئة الاجتماعية وقد أدخل الباحث العامل الطبيعي كأحد العوامل المؤثرة في الثقافة الدينية وذلك لأثره الواضح في الشخصية العراقية. وعليه يمكن القول ان الثقافة الدينية هي نتيجة لعوامل ثقافية وطبيعية متجذرة ومتأصلة في مدينة الحلة منذ تأسيسها وحتى الآن، فهي تؤثر بشكل واضح في سكانها من خلال انعكاسها على شخصياتهم وسلوكهم اليومي، فقد حاول الباحث توظيف اتجاه مدرسة الثقافة والشخصية في موضوع الدراسة في آراء ونظريات ورواد هذا الاتجاه وكذلك وظف الباحث النظرية التفاعلية الرمزية في موضوع الدراسة لبيان مدى تأثير الرموز والنشاطات الدينية وانتشارها بينهم بسبب التفاعل الرمزي الحاصل بينهم.

وقد توصلت الدراسة في مدينة الحلة الى ان هناك صوراً ونماذج من الثقافة الدينية اكثر انتشاراً وهي الشعائر الحسينية وإحياء ذكرى استشهاد الامام الحسين (عليه السلام)، والمشاركة الواسعة من الأهالي وتستمر لخمسين يوماً، وزيارة الاضرحة والأماكن المقدسة والمراقد الدينية في المدينة. فالثقافة الدينية موجودة في مدينة الحلة خاصة والمجتمع العراقي عامة كنمط تأريخي سائد ومقولب في أساسات المجتمع ومتطبع في شخصيات أفراده حتى يمكننا القول ان ثقافة مدينة الحلة هي ثقافة دينية.

**الكمات المفتاحية:** الثقافة، الدين، الشخصية، الثقافة الدينية.

**المقدمة**

لكل مجتمع ثقافته الخاصة التي يتسم بها ويعيش فيها كما ان لكل ثقافة ميزاتها وخصائصها ومقوماتها المادية التي تتألف من طرائق المعيشة والادوات التي يستخدمها افراد المجتمع في قضاء حوائجهم والاساليب التي يصنعونها لاستخدام هذه الادوات فأن قدرة الانسان على انتاج الثقافة هي أهم خاصية تميزه عن باقي المخلوقات فالعادات والتقاليد والافكار التي يشارك فيها أفراد المجتمع والتجارب التي يمر بها الانسان تستقر في أعماقه ويستخدمها المجتمع جيلاً بعد جيل ويحولها الى قيم وتراث اجتماعي[1].

فالثقافة لا توجد الا بوجود المجتمع والمجتمع لا يقوم ويبقى الا بالثقافة وفيه تتكون شخصية الانسان وتحمل سماته وعليه فان الثقافة طريق خاص ومتميز لحياة الجماعة وتحتل الثقافة الدينية مساحة واسعة في مجتمعنا كأحد ردود الفعل المتوقعة في ممارسة النشاطات والطقوس والشعائر.

فالثقافة الدينية في مدينة الحلة هي ثقافة دينية شعبية تحمل في مضامينها التقاليد والاعراف والقواعد الدينية والشعبية التي تكمن كل الحب والولاء للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته الاطهار والائمة المعصومين (عليهم السلام) من بعدهم، ومن العادات والتقاليد التي تحمل هذه الثقافة الدينية هي إقامة الشعائر الحسينية في شهر محرم مستعملين صوراً ووسائل كثيرة للتعبير عن المواساة لأهل البيت (عليهم السلام) مثل اقامة المواكب الحسينية والخطب الدينية وزيارة المراقد المقدسة، واقامة شعيرة الطبخ، ومجالس العزاء فيها، حسب المذهب من ضرورات احياء الدين، وتعد عاملاً مهماً في نشر الثقافة الدينية وتأثر الاشخاص فيها فمنذ نشأة مدينة الحلة هي ذات طابع ديني شيعي.

**الفصل الأول**

**الاطار النظري للدراسة**

**المبحث الاول: أبعاد الدراسة**

**اولاً: مشكلة الدراسة**

يركز موضوع الدراسة في طبيعة المجتمع العراقي منذ ان وجدت الخليقة حتى وقتنا الحاضر على الشخصية العراقية، بالعامل الديني الذي كان المؤثر الاول في تكوين الشخصية، وسبب تأثرها بالعامل الديني هو وجود بعض المسببات التي تكمن اولها بتأثير المجتمع العراقي بالبيئة الطبيعية التي كانت ومازالت تؤثر فيه اضافة الى سبب مهم الا وهو العامل السياسي. فالطبيعة بتقلباتها المختلفة والمتناقضة على طول السنة وما تخلفه فيضاناتها وانخفاض درجات الحرارة وارتفاعها والجفاف اثرا في تكوين الشخصية كان يعزى الى غضب او عدم الرضا الالهة في العصور القديمة ولازالت رواسب هذه الافكار المتعلقة في ذهنية الشخصية العراقية والتي يتلقاها من ثقافة المجتمع. اما العامل السياسي فهو لا يقل اهمية عن العامل الطبيعي بل يراه الباحث ذا تأثير كبير أكثر من العامل الطبيعي، فأنظمة الحكم التي حكمت العراق منذ القدم وحتى عهد قريب هي انظمة تتماز بالبطش والقساوة والدكتاتورية اضافة الى الفهم الخاطئ للدين على ان الحاكم هو ظل الله في الارض ومن هذين العاملين المؤثرين على الثقافة الدينية للشخصية العراقية (الطبيعي / السياسي) يكمن موضوع الدراسة، إذ يحاول الباحث توضيح قوة الثقافة الدينية وانعكاسها على الشخصية العراقية.

**ثانيا: اهمية الدراسة**

تكمن اهمية الدراسة في معالجتها لموضوع الدين بوصفه عنصراً ثقافياً مهماً في المجتمع، وكيف تتأثر به الشخصية عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية. فالدين عنصر مهم من عناصر الثقافة يكاد لا يخلو مجتمع من نظام ديني فيما يحمله من قوانين ووسائل ضبط اجتماعية ودساتير قانونية بغض النظر عن ما اذا كان هذا الدين سماوياً او وضعياً، فهو نظام اجتماعي متكامل يحتاج له كلاً من الفرد والجماعة وله تأثيرات واضحة وقوية على شخصية الانسان، فمن هذه القوانين والضوابط والدساتير يتميز سلوك الافراد وقيمهم وعاداتهم في ثقافة معينة من ثقافات المجتمعات الاخرى.

**ثالثا: أهداف الدراسة**

يهدف الباحث من الدراسة الوصول الى ما يأتي:

1. التعرف على مفهوم الثقافة العام.
2. التميز بين مفهوم الثقافة ومفهوم الثقافة الدينية.
3. التعرف على العوامل المؤثرة في تكوين الثقافة الدينية للشخصية العراقية.
4. طبيعة الثقافة الدينية في المجتمع العراقي.
5. اثر هذه الثقافة على شخصية الافراد في المجتمع العراقي عموماً والمجتمع الحلي خصوصها.

**المبحث الثاني: المفاهيم والمصطلحات العلمية**

**اولاً: الثقافة (Culture)**

الثقافة في اللغة: هي من ثقف الشيء ثقفاً وثقافاً وثقوفةً: أي حذقهُ ورجل ثقف: أي حاذق فهم او سريع التعلم، ويقال غلام ثقف: أي ذو فطنة، وذكاءٍ ثابت المعرفة بما يحتاج اليه، والثقاف عند العرب: هي حديدة تكون مع الاقواس والرماح يقوّم بها الشيء المعوج[2].

الثقافة في الاصطلاح عرفها العالم البريطاني ادوارد تايلور (Edward Tylor) في عام 1871 في كتابه الموسوم (الثقافة البدائية Primitive Culture): بانها ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والاخلاق والقانون والعادات وكل القدرات الأُخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في ذلك المجتمع[3].

بينما يعرف الانثروبولوجي مالينوفسكي الثقافة: بانها ميراث اجتماعي يشتمل على عناصر مادية موروثة والسلع والعمليات التقنية والأفكار والعادات الفردية والقيم[4].

وعرف الانثروبولوجي العراقي شاكر مصطفى سليم: بانها كل ما يرثه المجتمع من اجياله السابقة باستثناء الصفات الحياتية الطبيعية، من نظم وقيم ومعتقدات اجتماعية وفكرية ودينية وأنماط سلوكية وممارسات فنية يسيطر بها على بيئته ويكيف نفسه لها ويستطيع بواسطتها اشباع احتياجاته الحياتية والاجتماعية وغيرها وتنقل من جيل الى الجيل الذي يليه[5].

عرفها كلاكهون: بانها انماط مستقرة او ظاهرة للسلوك المكتسب والمنقول عن طريق الرموز فضلاً عن الانجازات المتميزة للجماعات الانسانية ويتضمن ذلك الاشياء المصنوعة، ويتكون جوهر الثقافة من افكار تقليدية وكافة القيم المتصلة بها[6].

**ثانياً: الدين (Religion)**

يعرف الدين بأنه: مجموعة من المعتقدات والرموز والممارسات كالشعائر التي تنهض على فكرة المقدس، والتي توحد بين المؤمنين لهذه المعتقدات في مجتمع ديني اجتماعي[7].

ويعرف دروكهايم الدين في كتابة "الصور الاساسية للحياة الدينية": هو نسق موحد من المعتقدات والممارسات ذات الصلة بأشياء مقدسة، بمعنى أنها اشياء متفردة ذات حرمة معتقدات وممارسات تتوحد في مجتمع اخلاقي واحد يسمى دار العبادة افراده هم أتباع هذا الدار[8].

ويعرف الدين ايضاً بانه: نظام يتكون من مجموعة عقائد وممارسات وطقوس لها قدسيتها وحرمتها، والافراد المؤمنون بعقائد وممارسات الدين غالباً ما يكونون جماعة موحدة، تدافع عن مبادئ الدين وتكافح من اجل ترجمتها الى واقع عمل ملموس يسهم في تقدم الانسان على حد سواء، والدين ظاهرة انسانية كونية لم يخل منها مجتمع من المجتمعات، وان الدين نظام عقلاني موزون يتكون من مجموعة من المعتقدات والقيم السلوكية ويتعلق بكائنات وقوى واماكن مقدسة تفوق بطبيعتها الاشياء التي يستطيع الانسان الهيمنة عليها[9].

**ثالثاً: الشخصية (Personality)**

تعرف الشخصية بأنها: التنظيم الدينامي داخل الفرد لتلك الاجهزة النفسية والجسمية التي تحدد طابعه الخاص وتحدد خصائص سلوكه وفكره[10].

وتعرف أيضاً بأنها: صيغة منظمة نسبياً لنماذج السلوك والاتجاهات والمعتقدات والقيم النمطية المميزة لشخص معين والتي يتشرف بها هو والاخرون وتعتبر الشخصية محصلة للخبرات الفردية في بيئة ثقافية معينة[11].

ويعرف مورتن برنس الشخصية بانها: مجموعة ما لدى الفرد من استعدادات ودوافع ونزعات وشهوات وغرائز فطرية وبيولوجية وما لدية من نزعات مكتسبة[12].

وعرفها العالم البورت بأنها: استجابات الفرد المميز للمثيرات الخارجية وكيفية توافقه مع المظاهر الاجتماعية في البيئة[13].

**رابعا: الثقافة الدينية (Religious culture)**

هي مجموعة التغيرات التي تحصل في الشخص وعقيدته فكر بهدف خلق نوع خاص من العمل والسلوك القائم على الاسس الدينية، وبعبارة اخرى هي التغيرات والتطورات التي تحصل في الافراد وعقيدتهم فكر وتتكون عن طريقها الاخلاق وتتخذ العادات والآداب والسلوك والعلاقات الفردية والاجتماعية في ظلها طابعا شرعيا ودينيا، ويبرز عن طريقها الدين كعنصر فاعل وسائد في حياة الشخص بمختلف ابعادها وافاقها[14].

**الفصل الثاني: الثقافة الدينية والشخصية العراقية**

**المبحث الأول: المحددات الثقافية للشخصية العراقية**

تعتمد نظرية الشخصية على ما تمتاز به الشخصية من تفرد أساسي تتحدد في ضوئه مختلف الوقائع والسمات الشخصية واستنادا الى هذه النظرة في دراسة الثقافة والشخصية توصل كلايد كلاك هون الى عدد من التعميمات او القضايا او المحددات الخاصة بالشخصية هي[15].

1. هناك بعض المحددات العامة التي تبرز في سمات الشخصية الخاصة بالإنسان كالبواعث والقيم والدوافع الاجتماعية، وهي عناصر ثقافية عامة تتماز بالكلية والشمول ويتسم بها الشخص في كل زمان ومكان، فهي سمات كلية وعامة تحاول في اطارها ان تحدد معالم الشخصية ومعرفة حدودها العامة في كل زمان ومكان دون تمايز.
2. ان أعضاء المجتمع يميلون الى مشاركة بعضهم بعضا في سمات شخصية مشتركة يسميها كلو كهون السمات المشتركة، ويطلق على هذا النوع من التعميم المنخفض في سمات الشخصية اسم (المحددات المشتركة).
3. يتصل التعميم الثاني بطبيعة السلوك، وذلك على اعتبار أن السلوك في كل جماعة او زمرة يتسم ببعض المميزات الثابتة والخصائص المحددة فوراء كل سلوك دافع يصدر عن القيم الاجتماعية. وتؤدي الدوافع والقيم الاجتماعية أدوارا معينة تحدد لنا الكيفية العامة لسلوك الجماعة ويطلق كلا كهون على هذا الدور الثقافي الذي تلعبه القيم والدوافع الاجتماعية في تنظيم انماط السوك وتكوين سمات الشخصية اسم محددات الدور[16].
4. وفي التعميم الرابع يقول كلو كهون قد يختلف افراد المجتمع الواحد وتتمايز سمات الشخصية فيه والتي تؤدي الدور نفسه والسبب في ذلك يرجع الى وجود بعض السمات الفريدة بعدها مجموعة من السمات النوعية التي تتماز بها وتنفرد كل شخصية على حدة، وتسمى بالسمات الفطرية، وهي سمات تتصل بطبيعة الشخصية الامر الذي يفسر لنا نوعيتها وتفردها.
5. وتتلخص القضية الخامسة في التعميم القائل بأنه قد توجد بعض التشابهات بين افراد وجماعات متباينة ومتمايزة ثقافيا ويستنتج من ذلك ان هذا التشابه في نمط الشخصية رغم الاختلاف الواضح بين سمات الثقافة انما يرجع هذا التشابه الى المحددات الفطرية وتجانس السمات والعناصر الخلقية الكامنة في التركيب والبناء الاساسي للشخصية، بمعنى أن السمات الفطرية هي عناصر

ومكونات خلقية قائمة في طبيعة الشخصية، ومن ثم فإن العناصر والمحددات الفطرية لا تلتزم بالمجتمع ولا تتصل بالضرورة بوجود المجتمع وقيمه[17].

**المبحث الثاني: العلاقة بين الثقافة والدين والشخصية صوراً ونماذج**

ترى (روث بنديكت) أنه يجب على الانثروبولوجي الخبير بثقافات الشعوب المختلفة الا يعتقد أن الأفراد أجهزة تتحرك تلقائياً بطريقة آلية منفذة أحكام ثقافتها ولم تتوصل المشاهدات بعد إلى أن الثقافة ما استطاعت أن تستأصل الفروق المزاجية للأشخاص الذي تتكون منهم، فالأمر أخذ وعطاء فيما بينهم، وليس في الامكان إيضاح مشكلة الفرد عن طريق تأكيد الخصومة، بين الثقافة وبينه، وانما يتأكد الطرق التي يصطنعها كل منهما لتقوية الآخر وهذه العلاقة وثيقة جداً الى حد استحالة مناقشة أنماط الثقافة دون مراعاة لعلاقتها بعلم النفس الفردي[18].

ويرى كل من (ماكيفر وبيج) أن العلاقة بين الثقافة والشخصية تتضمن من جهة التراث الاجتماعي الشامل المحيط بالفرد، ومن جهة أخرى الصفة الكاملة للفرد، والشخصية على حد تعبيرهما هي كل ما مر بالفرد من تجارب في الماضي والحاضر بشرط أن يفهم هذا الكل كوحدة[19].

وبناءً على ما سبق فإن الشخصية اصطلاح أوسع مدلولاً من الفردية، ذلك أن الشخصية تستوعب هذا الكل المنظم من العمليات الاطرادية والحالات النفسية المتعلقة بالفرد ولهذا ينبغي أن توضع العلاقة بين الثقافة والشخصية في المحل الاول عند جميع الانثروبولوجيين وعلماء الاجتماع والنفس الاجتماعي[20].

ان تنوع نماذج الشخصية الاساسية لا يمكن فهمه الا بالرجوع الى الثقافات التي ترتبط بها النماذج المختلفة، واذن فعالم الاجتماع يواجه فكرة امكان دراسة ثقافة معينة بتركيز بحثه فيمن تغمرهم هذه الثقافة، وذلك بأن يأخذ لهذا البحث مادة أولية ما يبدو من أفراد المجتمع من مظاهر الشخصية، او بعبارة أخرى فإن المركب المكون من الشخصية والثقافة وما بينهما من علاقة متبادلة يمكن أن ينفذ اليه عن طريق الشخصية.

والملاحظ أن علماء الاجتماع اهتموا بهذا النوع من الدراسات منذ بداية القرن العشرين فنجد أن من أهم الدراسات التي قام بها الاجتماعيون في هذا الميدان تلك الدراسة المعروفة في علم الاجتماع التي أجراها العالمان (و.أ نوماس وفلوريان زنانيكي) عن الفلاح البولندي في أوربا وأمريكا، وهي عبارة عن تقرير يتضمن خمسة مجلدات يشتمل على تغيير علمي للأسرة الريفية والحياة الجمعية وما طرأ عليها من تغير نتيجة للتصنيع الحديث وهجرة الفلاحين البولنديين الى المانيا والولايات المتحدة الامريكية.

لقد استخدم الباحثان المذكوران الوثائق الانسانية في البحث عن الشخصية والثقافة كالرسائل والمقابلات الشخصية ومجلات المحاكم وتقارير الهيئات والجمعيات لاسيما تاريخ حياة الأفراد مع ما تضمنته المذكرات الشخصية حول هذا الموضوع.

كل ذلك سائر على كشف حياة الأفراد وتحليلها في مواقفهم وسلوكياتهم في تعصبهم ومعالجتهم لمشاكلهم الشخصية ومدى احساساتهم من وطأة القيود الاجتماعية المحيطة بهم ومن ثم تمكن الباحثان المذكور ان استثمار هذه المادة لتغيير تكوين الشخصية وتفكيكها وامكانية اعادة تكوينها من جهة والأنساق الاجتماعية المتغيرة في ضوء الأوضاع الجديدة من جهة أخرى[21].

اذا كانت الثقافة هي الجانب الجماعي من الشخصية فأن الشخصية هي الجانب الذاتي من الثقافة وهذا يعني ان شخصيات الافراد الاجتماعية لا يمكن أن تنمو بطرق يرضى عنها المجتمع مالم تحدث الاتصالات أو الاحتكاكات الاساسية بين أفراده، فأثناء نمو الفرد الاجتماعي يدخل في الاتصالات مع الكثير من الجماعات التي تحدد له بدورها ما سوف تكون عليه شخصيته.

وعلى هذا الأساس يمكن القول إن القليل من الأفراد هم الذين يقيمون لأقل من ضمن او عشر منظمات والغالبية هم أولئك الذين تصل انتماءاتهم في المجتمع الحديث الى أكثر من خمسين منظمة موزعة مابين أسر ودواوين ومكاتب أو شركات واتحادات ونقابات ونوادي وجهات رياضية وتعاونية ودينية وثقافية الخ.. ثم اذا أدركنا الاختلاف الذي لها في نوع الاتصال بهذه المنظمات والادوار والمراكز الاجتماعية للفرد داخلها تبين الى أي مدى يمكن أن تتعاون الشخصية بوصفها ثمرة لهذه الاتصالات.

وهكذا نستخلص النظرة السوسيولوجية ان الفرد بدون عضويته للجماعات والاشتراك في العديد منها لا يستطيع أن يتجاوز المستوى الحيواني، بل يظل عند أصله البيولوجي، ومن ثم فيدون عضويته للجماعات التي يعيش فيها وتحيط به أي التي تشكل وسطه الاجتماعي لا تنمو شخصيته[22].

وهكذا يرى علماء الاجتماع أن نوع الثقافة هو الذي يشكل البناء النفسي في حياة المجتمع، وهناك من علماء الاجتماع من يرون عدم وجود أي نوع من الغرائز أو الدوافع التي تدفع الناس الى ممارسة سلوك معين أو القيام بنشاط ما وليس هناك في نظرهم أية استعدادات وراثية في طبقة الفرد سواء في قدرته العقلية أو اتجاهاته الانفعالية الوجدانية أو منزعه السلوكي وانما كل ما يتوافر عليه الفرد الاجتماعي انما هو مكتسب في مدى تفاعله ونشاطه الانساني مع خبرات ثقافاته التي انتقلت عبر الأجيال التي يعيش فيها.

وعلى هذا الاساس يمكن القول أن النظريات السيكولوجية التي ترد سلوك الانسان الى سبب واحد أو عامل معين قد أظهرت عدم جدواها وفائدتها في تغيير السلوك الاجتماعي ومن أصحاب هذه النظريات والمدارس:

1. ما كد وجل تأثير القوى الفطرية في تشكيل قوى الانسان.
2. فرويد ومبدا اللذة والالم.
3. أدلر ومبدأ النزعة الى السيطرة في المجال النفسي.
4. مدارس أخرى تفسر سلوك الانسان على اساس المناخ أو التضاريس أو الدم أو الجنس أو اللون أو اللغة.

لكن جميع هذه النظريات تهمل أهمية العامل الثقافي في تفسير مكونات الطبيعة البشرية وتنظر الى الموضوع على اساس عنصرين منفصلين الطبيعية البشرية باعتبارها وحدة قائمة بذاتها، والثقافة على انها وحدة قائمة منفصلة عن الطبيعة البشرية، والواقع أن هذين العنصرين متفاعلان تفاعلاً تاماً فيما يسمى بالطبيعة البشرية، انما هو نتاج للمقومات الثقافية وآثارها كما أن الثقافة هي نتاج نشاط الفرد. وحصيلة تفاعله مع بعضهم البعض ومن ثم تتضح أهمية الثقافة، فمفهوم من المفاهيم الرئيسية في علم الاجتماع في بلورة وصيغة الشخصية الاجتماعية للأفراد الذين يعيشونها ويمارسون أنماطها[23].

أما من ناحية الدين فقد أفرزت المراحل التاريخية المتعاقبة نماذج وصوراً الثقافة الدينية وتأثيرها على شخصية الفرد العراقي، فكان هاجس الموت والفناء سمة مركزية للشخصية العراقية فعندما بنى البابليون برج بابل أحدث ذلك تأثيراً سلبياً، فتفكير العراقي يقارن بالتقديس والتدنيس بوصفهما ظاهرتين متلازمتين لعقل الانسان منذ القدم فهو يقدس الالهة ويكيل لها المديح والثناء، ومقابل ذلك فهو يدنس الاشياء خارج نطاق الالهة، وبهذا فأن التدين عندهم هو تلون.

لقد عرفنا أن المقدس يشتمل على التعظيم والتحريم، وهو يرتبط بالدين بصورة وثيقة وهناك مقدس لا يرتبط بالدين ولكن ينوع العلاقة التي تربط الفرد والجماعة بجماعات أخرى وان كان اصل التقديس يبقى ديناً فالتقديس هنا يشمل العشيرة والسلطة والسياسة وهو مقدس اجتماعي اذ يتم تحويل التقديس من الحقل الديني الى الاجتماعي عن طريق التنظيم والتحريم وهنا يقدس الفرد عشيرته ويحيطها بحالة من التعظيم ويمنع المساس بها، كما تحيط الدولة نفسها بالمحرم وتمتع الانسان من التعرض لشخص الحاكم، فإن الاداء الطقسي يحول هذه الأساطير الى تصديق فعلي لمضامينها وتحقيق المعاني الرابطة في رموزها وعندها يأخذ الافراد الفاعلون موقفاً حماسياً انفعالياً من مقدسهم ينم عن الولاء والطاعة[24]، فالطقس مجموعة من الاجراءات والحركات التي تأتي استجابة للتجربة الدينية، فالفرد والجماعة تضفي المعنى على السلوك من خلال اجراء الطقوس ويمتاز الطقس بالشكلية والقالب النمطي بسبب تكراره، وهناك عموماً أربع فئات من الطقوس هي الجماعية والفردية والدورية والطارئة، وتقوم كل ثقافة باعتماد وسائل متفاوتة ومتنوعة لتطوير تلك الطقوس، وهذا يعتمد على ايديولوجية معينة فالطقوس الدورية تجري للاحتفال بمناسبات وضعية أو لانتقاء خطر معين، أما الطقوس الطارئة فهي على العكس من ذلك تدع الامور تجري مكتفية بتشكيل وسائل مجابهة.

وفي الطقوس الجماعية يكون الاشخاص ممثلين للشأن الاجتماعي أما الطقوس الفردية فأن الشخص عبر هويته الجسدية والفكرية والعاطفية يجد في تصرفه خدمة جماعية متكاملة، ويمكن القول ان الطقس الفردي يتخذ أداء زمنياً قصيراً أو بشكل يومي أو

أسبوعي أو شهري مثل الصلاة والقربان والدعاء والتوسل ومن هنا نقترب من المقدس الديني في الأديان الكتابية، إذ تجري الطقوس الفردية بشكل مستمر لإحداث حالة تطهرية عند الفرد تصل به الى المقدس والتعلق به.

ولكن ما تمتع به الطقوس الدورية الكبرى من فاعلية يعطي للدين معنى شمولياً جمعياً يبرز فيه المجال اجتماعياً – مكانياً في آن واحد، ويتم الانتقال فيه من الفردي الى العام مع بقية الافراد وتتوحد فيه العاطفة والفكر، وتكون في اتجاه واحد نحو المقدس فلطقوس الدورية الكبرى الخاصة بالزواج المقدس والموت والانبعاث تجري بشكل جماعي يهدف الى تحقيق غايات نفسية وفكرية[25]، فالإنسان العراقي طقوسي يسبح في المقدس منذ أن بزغت حضارته الاولى في سومر وانعكس ذلك على تاريخه خصوصاً بعد واقعة الطف بكربلاء واستشهاد الامام الحسين (عليه السلام) تلك الواقعة التي أسست للطقوس والشعائر الحسينية ومن ثم لإحياء كافة الطقوس الخاصة بميلاد أو وفاة أحد ابطال التاريخ الاسلامي أو وفاته. فعندما يستعيد العراقيون في وعيهم التاريخي ذكرى بعض الاحداث التي جرت على أرضهم بصورة توحد مع الحدث لتحقيق ما يعرف بالمواساة، فطقوس الزيارة والنواح والسير على الاقدام انما تستعيد الحدث التاريخي لغرض المشاركة الاستيهامية فيه بعدما فاتت فرصة المشاركة الفعلية فان الحدث التاريخي قد مضى وانتهى لكنه يتحول بفعل الطقوس الى ما وراء التاريخ بسبب قداسة أبطاله، فتجري الطقوس الدورية لتجديد الولاء له ولأبطاله فطقوس عاشوراء في اللطم والبكاء الجماعي والتشابيه التي تتجدد كل عام بشكل دوري ستستمر حسب الفكر الشيعي حتى ينتهي التاريخ، إذ توضع الموازين القسط ويبدأ تاريخ جديد قوامه العدل والانصاف وأول بوادره هذا الانصاف كما يعتقدون هو الثأر من قتلة الامام الحسين (عليه السلام) ومن معه (عليه السلام)، وقد خلد الشاعر التجدد الدوري لذكرى واقعة الطف في بيت معروف

**كذب الموت فالحسين مخلدا كلما مر الزمان ذكره يتجددا**

واذا كانت طقوس الزيارة والمشي لمسافات طويلة من الأمور التي جعلت هذه الذكرى فقد عمل الشعر هو الاخر على اذكاء (حرارة الحسين) في الضمائر الاسلامية، وهذا الحافز الذي ألهم شعراء الشيعة كان بسبب نصوص الائمة من ذرية الحسين (عليه السلام) الذين أوصوا بإحياء الذكرى، فيقول الامام الباقر (عليه السلام) (ان تلك المجالس أحبها فأحيوا أمرنا رحم الله من أحيا امرنا) [26]. ويوم عاشوراء هو يوم عراقي بالصميم انتقل فيما بعد بطقوسه الى شيعة العالم وعاشوراء هو التوصيف اللغوي من محرم اذ يستعد العراقيون الشيعة قبل هذه الأيام بتحضير كافة اللوازم الضرورية لأداء الشعائر الحسينية وصولاً الى ذروتها في اليوم العاشر، وهو اليوم الذي حلت فيه نازلة أهل بيت النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بقتل الحسين وأولاده (عليهم السلام) وأصحابه وسبي نسائه سنة (61هـ).

هناك عدة طقوس وشعائر تقام بشكل سنوي دوري لتنظيم مأساة الحسين (عليه السلام) وترسيخها في الوعي التاريخي وهي النواحة الجماعية ومواكب اللطم والزناجيل وقراءة السلام والدعاء والمحاضرات الدينية والمشي في الزيارة ليس السواد رفع الاعلام والشعارات الدينية وطبخ الطعام الجماعي فمن أهم الطقوس التي تجري في محرم هو البكاء ومجالس التعزية حيث يتجمع الناس في المساجد والحسينيات وأحياناً في البيوت والشوارع ليسمعوا الى الخطيب الذي يعتلي المنبر ويبدأ بتلاوة آية قرآنية معينة أو حديث يخص الامام الحسين (عليه السلام) وأشهر خطيب عرفه الشيعة هو الدكتور أحمد الوائلي (رحمه الله) الذي كان يعرف بعميد المنبر الحسيني ويمتلك قدرة عجيبة وارتجالية على شد الناس اليه والاستماع لمحاضراته وكثيراً ما يتخلل هذه الخطب مواعظ وارشادات تحذر من الدنيا وترغب بالآخرة، ليسر النبي وأهل بيته، والتذكير بعدالتهم مقابل استبداد الحكام والجور والظلم الذي وقع عليهم والمحاضرات الدينية لا تقتصر على يوم العاشر بل أنها تمتد على طول السنة خصوصاً نهاية الاسبوع والمناسبات كولادة أحد أئمة الشيعة أو وفاته وفي مجالس العزاء (الفاتحة) لوفاة أحد الاشخاص، إذ يحضر الخطيب للموعظة ويختم المحاضرة بذكر تعزية الامام الحسين (عليه السلام) المحاضرات في شهر رمضان ويقتصر بعضها على الوعظ دون العزاء[27].

اما فيما يخص مجالس العزاء الحسينية التي هي على نوعين الاول هي قراءة القصة الكاملة لاستشهاد الامام الحسين (عليه السلام)، والنوع الثاني هو الردات والقائم بها يسمى رادود، ومن أشهر الرواديد في العراق باسم الكربلائي وملا جليل وحمزة الصغير وغيرهم، والردة هي مقاطع شعرية شعبية لشعراء معروفين مثل جابر الكاظمي وسعيد الصافي وغيرهم.

وهناك مجالس عزاء خاصة بالنساء في الحسينيات وبعض البيوت في الأيام العشرة الأولى من محرم، فنقوم الملاية بقراءة محاضرة هادئة لقصة من قصص الواقعة وهي جالسة ثم تتصاعد وتيرة الحماس عندما تأمر الملاية النساء بالوقوف لأداء شعيرة اللطم، ويستحوذ يوم القاسم (عليه السلام) أهمية لدى النساء العازبات، فالمرأة التي لم تتزوج تنذر نفسها لتكون (عروس القاسم) فتلبس رداء أخضر وهو شعار العلويين وتطلب من الله قضاء حاجتها بالزواج وتخصيص عروس للإمام القاسم لأن هناك قصة راسخة جداً في الوعي التاريخي مفادها ان الامام القاسم (عليه السلام) عقد قرآنه على سكينة بنت الامام الحسين (عليه السلام) في ليلة العاشر لكن القضاء حال دون الزفاف فقد استشهد الامام القاسم (عليه السلام) صبيحة اليوم العاشر مع الامام الحسين (عليه السلام) وماتت سكينة (عليه السلام) في الشام، وتجهز في يوم القاسم (عليه السلام) مائدة يطلق عليها (صينية الامام القاسم (عليه السلام)) توضع فيها البخور والشموع والحنة احتفالاً بعروس القاسم[28].

والى جانب الخطابة والشعر يشتهر لدى الشيعة بالعراق ما يعرف بمواكب العزاء فلكل منطقة ولكل محافظة مواكب متعددة يقوم بها أفراد من المحلة منهم من يبقى داخل محلته ليجري طقوسه، ومنهم من يبدأ بالسير منذ اليوم الأول لمحرم على الأقدام الى كربلاء ليدرك العاشر هناك وتنفق على هذا المواكب أموالاً كثيرة تجمع من التبرعات ومن بعض الاغنياء، ويتقدم الموكب سفينة تحمل رأس أحد شهداء معركة الطف الى الامام وهي رمز لأهل البيت حسب حديث مشهور يتداوله الشيعة يقول فيه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك) لذا فالسفينة الرمزية تحمل اثني عشر شراعاً تشير الى الائمة الاثني عشر من الامام علي (عليه السلام) وانتهاء بصاحب الزمان الامام المهدي (عج).

وتحمل هذه المواكب صوراً للإمام علي (عليه السلام) وولديه الحسين والعباس (عليه السلام) وصوراً أخرى لرأس الحسين معلقاً على روح وصور للإمام الحسين وهو يحمل رضيعه عبد الله وترفع الاعلام والرايات الحمراء والزرقاء ولافتات كتب عليها أحاديث مختلفة تخص الواقعة مثل (هيهات منا الذلة) (حسين مني وأنا من حسين). وفيما يخص مواكب التطبير تمارس في اليوم العاشر عندما أريق دم الامام الحسين (عليه السلام) فيكون اراقة الدم ذي خصوصية زمانية تتلاءم مع يوم المقتل، ومعنى التطبير هو شج الراس بآلة حادة تسمى القامة وكلمة تطبير مشتقة من طبر، التي تشير الى آلة لقطع الاشجار واللحم اما القامة، فهي تتبه السيف من غير التواء، فمواكب التطبير تجري عادة عند مرقم الامام الحسين (عليه السلام) في كربلاء أو الامام الكاظم (عليه السلام) في بغداد ولا تستمر طويلاً كما هو الحال مع بقية الطقوس بسبب الانهاك بعد اراقة الدم من الراس أو بسبب حالات الاغماء، وربما حالات من الموت، ويجري بعدها تضميد الراس ببعض الادوية والشاش والقطن، وعادة ما يلبس أعضاء مواكب التطبير الوشاح تأويلاً للكفن الذي يلف به الميت عند المسلمين، فإن معناه استعداد للموت مواساة للإمام الحسين (عليه السلام) وذلك بلبس كفن الموت يوم عاشوراء.

وهذا بالإضافة الى ذبح القرابين وطبخ الطعام الجماعي منذ اليوم الاول لمحرم الا انه سوف يصل ذروته في اليوم العاشر بسبب اكتضاض المناطق المقدسة في كربلاء والنجف وبغداد بالزوار، إذ يحتاج هؤلاء الى الطعام والشراب، فيقوم بهذه المهمة عدد من الناس طلباً للأجر فيطبخ الطعام بقدور ضخمة ويكتفل بعض الاغنياء بإعداد عشرات منها لإطعام الناس بثواب الامام الحسين (عليه السلام) وطلب المراد إذ يقوم صاحب الحاجة بتقليب الطعام في القدر ويطلب حاجته بنفسه، وتعد زيارة الامام الحسين (عليه السلام) والعباس (عليه السلام) في كربلاء من اشهر الطقوس وأهمها باعتبار انها تجري في يوم عاشوراء وغيره على امتداد السنة من دون بقية الطقوس، تعد الزيارة الاكثر وروداً في الروايات الواردة عن أهل البيت واستحبابها المؤكد وهي زيارة عاشوراء وزيارة الاربعين وأيضاً الزيارة الشعبانية النصف من شعبان وتوافق مولد المخلص وآخر الائمة من أهل البيت الامام محمد بن الحسن الملقب بالمهدي (عج) زيارة عيدي الفطر والاضحى وليلة القدر وعرفة[29].

فكل هذه الطقوس والشعائر التي يقوم بها الشيعة في المجتمع العراقي والمجتمعات الشيعية الأخرى تعد نماذج وصوراً من الثقافة الدينية التي تؤثر بشكل كبير على الشخصية، فمن خلال هذه الطقوس والشعائر يتهذب الافراد، وتساهم هذه الطقوس والشعائر في سيادة الثقافة الدينية في المجتمع العراقي عموماً والمجتمع الحلي خصوصاً. وهذا النمط من الثقافة الدينية انعكس بدوره على تشكيل صور ثقافية نعيشها في مجتمعنا، تأخذ أشكالاً متعددة منها الشعائر الدينية والعلاقة بين الثقافة والشخصية والدين، والممارسات والطقوس الدينية وتأثيرها على الشخصية العراقية.

**المصادر والمرجع**


1. ابراهيم جعفر أبو عمشة، الثقافة والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
2. ابن منظور: لسان العرب، دار لسان العرب، مجلد1، بيروت، 1988.
3. احسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1999.
4. احمد محمد عبد الخالق، علم نفس الشخصية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 2016.
5. ايكه هولتكرانس: قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور: ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1973.
6. جلال مدبولي، الاجتماع الثقافي، دار الثقافة، القاهرة، 1979.
7. جواد علي كسار، الشعائر الحسينية، مؤسسة الثقلين الثقافية، بيروت، 2001.
8. جون سكوت، جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري واخرون، الهيئة العامة لشؤون الطابع، القاهرة، 1978.
9. جون سكوت، علم الاجتماع المفاهيم الاساسية، ترجمة محمد عثمان، الشركة العربية للأبحاث والنشر، القاهرة، 2006.
10. حامد عبد السلام زاهر، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1992.
11. حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط1، ج1، دار الساقي، بيروت، 1995.
12. د. شاكر مصطفى سليم: قاموس الانثروبولوجيا . جامعة الكويت، ط1، 1981.
13. د. قيس النوري، الشخصية العربية ومقارباتها الثقافية، البصائر للطباعة والنشر، بيروت، 2011.
14. دينس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منبر السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيوت، 2007.
15. روث بنديكت، الالوان من ثقافات الشعوب، ترجمة: محمد مرسي أبو الليل، عالم الكتب، القاهرة، 1972.
16. سعدي فيضي عبد الرزاق، المدخل الى علم الانسان، مطابع الموصل، العراق، 1989.
17. سيمون كلابيه، نظريات الشخصية، ترجمة: علي المصري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1993.
18. شاكر شاهين، العقل في المجتمع العراقي بين الاسطورة والتاريخ، ط1، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2010.
19. عبد الاله ممدوح، اساليب تنمية المعلومات والشعور الديني، ط1، المركز العربي للأبحاث، الرياض، 2004.
20. عبد الغني حماد، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والاشكاليات من الحداثة الى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 2008.
21. عبد الوهاب الكاشي، مأساة الحسين بين السائل والمجيب، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر، العراق، النجف الاشرف، 1993.
22. محمد تقي باقر، الامام الحسين استراتيجية وموقف، دار العلوم للتحقيق، ط1، بيروت، 1987.
23. محمد حسن غامري، مقدمة في الانثربولوجية العامة، المركز العربي للنشر والتوزيع الاسكندرية، 1985.
24. محمد شحاته ربيع، علم النفس الشخصية، ط1، دار المسيرة، عمان، 2013.
25. محمد عاطف عيث قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2006.
26. ميشال ايزار، معجم الانثروبولوجيا، ترجمة صباح احمد، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، 2006.